الباب الأول

طبيعة الدين الهندوسى

اطلق اليونانيون فى القرن الرابع قبل الميلاد كلمة : « الهند » على النصف الشرقى من الكرة الارضية ، وكانوا يقصدون بذلك على وجه التحديد : كل ما يقع على الجانب الشرقى لنهر السند (١) بما فى ذلك الصين أيضا • ثم اطلقت فيما بعد ، وقصد بها : الجزء الاوسط من آسيا الواقع بين جبال الهملايا ، والمحيط الهندى • وهو يبدو على هيئة شبه جزيرة ، تشكل مثلثا ، قاعدته فى الشمال ، حيث الصين وأفغانستان ، ورأسه فى الجنوب حيث يفصل بينه وبين جزيرة سيلان مضيق « بولك » وخليج « منار » ويمتد ضلعه الشرقى على خليج البنغال ، والغربى على بحر العرب •

وتضم هذه المنطقة المترامية الاطراف بيئات طبيعية مختلفة ، ففيها الجبال الشاهقة ، والوديان العميقة • والصحارى المقفرة ، والغابات الكثيفة والمروج الخصبة • وترتب على هذا اختلاف اجوائها اختلافا شديدا ، ففيها الحرارة الشديدة ، والبرودة القاسية ، والجفاف المميت ، والرطوبة الخانقة ، اذ تجتاحها فى الشتاء رياح جافة من الشمال ، جافة حارة فى الربيع ، ثم رياح شرقية غربية ممطرة مطرا مدمرا •

كذلك اختلفت شعوبها اختلافا لا مثيل له فى أى منطقة من

---

(١) اطلق عليه فى السنسكريتية : «Sindhu» ومنها اشتق اليونانيون كلمة « الهند » •

مناطق العالم وكثرت لغاتها ، وتباينت لهجاتها تباينا لا نظير له فى أى دولة ، وبناء عليه ، فلا غرابة أن يكون الدين فى الهند نموذجا مختلف الانواع والاشكال ، اذ هو يضم المبادىء السامية بجانب الافكار البدائية ، وكلاهما يسير جنبا الى جنب بصورة قل ان توجد فى منطقة من مناطق العالم غير الهند • فالدين يضم الجليل والردىء البدائى وغير البدائى ، كل هذا بجوار بعضه بطريقه لا توجد فى أى دين آخر ، ففى معبد فخم ـ أقيم فى جنوب الهند على أحدث طراز ـ يقام بلاله « شيفا » احتفال دينى رائع حيث تقام الطقوس الدينية ، للتى تمجد هذا الاله ، فبينما ينتحى فى هذا الاحتفال زاهد جانبا ، محركا حبات مسبحة باصبعه ، وهو يتمتم بالصيغة المقدسة : «Shiva 'ham, Shiva 'ham» ومعناها : « انا شيفا ، انا شيفا » ويؤكد بذلك ايمانه ـ أى ايمان الزاهد المردد لهذه الكلمات ـ بأنه ـ أى « شيفا ـ سيد العالم » وأن الكهان يعظمونه ، وانه فى الحقيقة اصل هذا الكون ، وان الكل سيعودون اليه •• بينما يفعل الزاهد هذا يوجد على مقربة منه معبد صغير ، يضم تمثالا مزركشا لالهة ، وامامه دمى لنساء يبدو على وجوههن الحزن والكآبة ، والبؤس والشقاء ، والجوع ، والحرمان ، يطلبن ـ متوسلات ـ ان ينجبن اطفالا •

وفى « بنارس » ـ تلك المدينة المقدسة ، التى تماثل العواصم الروحية للأديان الكبرى ـ حيث كتب «Shankara شانكارا » (١)

---

(١) «Shankara شـــانكارا » : برهمانى من جنوب الهند (٧٨٨ ـ ٨٢٨ م) ، وفيلسوف متخصص فى النظريات الفلسفية ، التى انبثقت من « الاوبانيشادات » مثل : الاعتقاد بان أرواح البشر مصدرها (براهما) وأنها ستعود اليه اذا وصلت الى معرفة الله ، او بلغت محبتها لله درجة تمكنها من الانفصال عن عالم البشر ، والاتحاد مع عالم الالوهية ، التى خرجت منه •

تفسيره لـ «Brahamasutren» (١) ، وحيث موئل العلماء والحكماء حتى اليوم ـ يرى الزائر صورة من المتناقضات الصارخة ، فبينما يلقى العلماء دروسا من « الاوبانيشادات » (٢) أو من « الجيتا » (٣) أو يقصون على المؤمنين أساطير « كرشنا » (٤)،

---

(١) كلمة « سوتر «Sutra» تعنى تعليم ، فالجزء الذى تطلق عليه هذه الكلمة من « الفيدا » يحتوى على كتب تعليمية فى محيط العلوم الستة الخاصة ، وهى : الصوتيات ، والنحو ، والصرف ، والبلاغة ، والعروض والفلك . ويتعلم الكهان هذه العلوم ، لتساعدهم على فهم نصوص « الفيدا » ولتمكنهم من تأدية الطقوس ، التى يتحتم عليهم القيام بها فى تقديم القرابين المقدسة .

(٢) تحتوى « الاوبانيشادات » على الأفكار الفلسفية والنظرية ، التى ابدعها الدين الهندوسى ، وهى مؤلفة على طريق السؤال والجواب بين تلميذ هو « شيلا » ، وأستاذ هو «جورو» ، وتدور تلك المحاورات حول موضوعات هامة مثل : الحقيقة الواقعية والمظاهر الخداعة ، التى لا تمثلها وصدور التعدد عن الواحد . الخ

(٣) «Gitagovinda» جيتا جوفندا » : من اشهر القصائد الدينية فى الدين الهندوسى ويدور موضوعها حول حب « كريشنا » و « رادها » وقد نظمها الشاعر البنجالى «Jayadeva» جايا ديفا » حوالى ١١٠٠ قبل الميلاد ، و « جوفندا » اسم للاله « كريشنا » .

(٤) «Krishna» كريشنا » معناه فى اللغة السنسكريتية : « المبهم » يقال انه امير هندى ، زعموا انه اكتسب الصفات الالهية تدريجيا ، وانه المتجسد للمرة الثامنة للاله الهندى « فيشنوا » ، وتحكى الاساطير انه تربى عند احد الرعاة ووقع فى حب فتاة من بناتهم ، كما تروى اعماله البطولية واقاصيص حبه .

او « راما » (١) ، نجد بجانبهم صورة للسلوك التجارى المقوت . حيث يتبارى الكهان ، والزهاد ، والتجار فى سلب اموال المتقين الذين جاءوا راغبين فى الزاد الروحى ، وعلى مقربة من هذا يوجد بئر حيث تقدم القرابين لأفعى مقدس ، أو تقام مراسيم التقديس والتعظيم لصورة « Ganesha جانيشا » (٢) متدلية البطن ، ولها رأس فيل ، وفى Kalighat كالجات » ـ بالقرب من Kalkutta كلكتا » ـ تقدم الضحية

---

(١) « Rama راما » شخصية أسطورية مؤلهة فى الادب الرامى ، الذى ظهر فى عصور الهند القديمة (من القرن الرابع قبل الميلاد وحتى القرن الثامن بعد الميلاد) ، وهو ـ كما تروى الاساطير ـ ابن « Dasharatha داشاراتا » ، عاش فى المنفى الاختيارى مع زوجته « Sita سيتا » ، بنت « Janaka جاناكا » وقاتل هناك بشجاعة نادرة ـ الشيطان « Ravana رافانا » ثم رجع الى وطنه ويعتقد الهندوسيون أنه « Vishno فيشنو » تجسد فى صورة انسان ، وان زوجته « سيتا » هى « Laksham لاكشامى » زوجة « فيشنو » ، ظهرت فى صورة بشرية .

(٢) « Ganesha جانيشا » : من أشهر آلهة الدين الهندوسى فهو ـ حسب اعتقاد الهندوسيين ـ ابن « Shiva شيفا » وأمه الآلهة « Durga دورجا » ـ وقيل ان اسمها : « Shakti شاكتى » ـ وصفوه أولا بانه اله الزراعة ، ثم اصبح حاميا للثقافة ، والذكاء . رسموا رمزه على هيئة رجل ذى اربع أيد وله رأس فيل ، ممتطيا فأرا بريا . وتتصدر هذه الصورة كثيرا من الكتب الهندية مذيلة ببعض الابيات فى مدحه وتعظيمه .

ـ وهى عبـــارة عن ماعز ينهمـــر منهـــا الدم (تقطر دما) ـ لـ « Kali كالى » (١) وفى نفس المدينـــة ، وعلى مقربة من هـــذا المـــكان ، يوجـــد معبـــــد « Ramakrishna راما كريشنا » (٢) وهـــو آخـــر القديسين الكبار ، توفى عام ١٨٨٦ م ٠

ومما لا شك فيه ان كل فكر دينى يشتمل ـ فى جميع مراحله

---

(١) « Kali كـــالي » (ومعنـــــاها فى اللغـــة السنسكريتية : السوداء) : احدى النســـاء المؤلهات فى الدين الهندوسى ، وزوجتـــــه « Shiva شيفا » يتخيلها المؤمنون بهذا الدين فى صورة امرأة شريرة ، زائغة البصر ، لها رأس سوداء ، وعشرة أذرع ، تحمل فيها رموز الآلهة ، وقرابينها أضاح يصحب تقديمها ـ فى الغالب ـ طقوس مفرطة فى اللهو ٠

(٢) « Rama Krishnaراما كريشـــــنا » ولد فى عـــام ١٨٣٤م ، لأب برهمانى ـ أى رجل دين ـ قام بالطقوس الدينيةفى معبد « كالى » بالقرب من كلكتا وهو ابن سبعة عشر عاما ، ولما لم يجد فى الصلاة والتأمل مبتغاه ، اتجه الى الفلسفة الدينية الهندية ، ومارس اليوجا ، ثم درس الاديان الاخرى أيضا ولكنه لم يعتنق أيا منها ، بل توصل من هذه الدراسة الى ان الحقيقة الالهية واحدة غير انها ظهرت عند الناس بصور مختلفة ـ أى ان الطرق مختلفة والهدف واحد وهو تعظيم الله ، وكان هذا الاتجاه سببا فى اعتناق كثير من الاوربيين والامريكيين دعوته فتأسست عام ١٨٩٧م ـ أى بعد موته بأحد عشر سنة « بعثة تبشيرية » فى كندا تدعو لمبادئه ٠

التاريخية ـ على خليط من السلوك والافكار ، بعضها سمم جليل ، والآخر بسيط تبدو عليه احيانا ملامح البدائية ، لان المؤمنين بالدين ـ أى دين ، بصرف النظر عن درجته بين الاديان مختلفون اختلافا كبيرا فى درجه الثقافة والوعى الفكرى ، ففهم الرجل العادى لقدرة الله ولاوامره ، ونواهيه ، يختلف عن تصور رجل ، قطع شوطا كبيرا فى عالم الثقافه والمعرفة ، او وصل الى درجة الخلق والابداع فى مجال الفلسفة مثل الغزالى ، وابن سينا ٠٠ و ٠٠ و ٠٠ الخ ٠ ولهذا فتفاوت الافكار الدينية وتباين الصور للمعبود عند المؤمنين بدين واحد ضرورة اقتضاها اختلاف الطبقات الثقافية فى المجتمع ، وأملتها ظروف سياسية واجتماعية ومذهبية ٠ غير أن طبيعة التعدد ـ الذى وصل الى حد التناقض ـ فى التصور لعقدى وفى السلوك الدينى عند الهندوسيين ، تجاوز لحد المألوف فى المجتمعات الدينية الاخرى ويرجع ذلك الى اسباب منها :

١ ـ تفاوت السكان فى اللغة ، ودرجة الحضارة والثقافة تفاوتا ، لا نظير له فى المجتمعات الدينية الاخرى ٠

٢ ـ احدث هذا التفاوت اثره المشاهد فى الهندوسية ، فهى لاتنسب لفرد معين ، اسسها ووضع قواعدها الاساسية ، ثم جاء خلفاؤه ، ففسروها واختلفوا فى تفسيرها ٠ لو كان الامر كذلك ، لاقتصر الاختلاف على تباين وجهات النظر فى التفسير ، ولبقى فى الدائرة المعروفة للاديان ، حيث يجمع معتنقوها على الاصول ، ويختلفون فى الفروع ٠ ولكن الاختلاف لدى الهندوسيين امتد الى الاصول أيضا ، لانه لا يعرف لها مؤسس معين ، بل هى مبادىء ، تطورت عبر القرون ، جارفة معها افكار وتصورات العصور المتعددة ، وممسكة بملامح كل بيئات الهند المختلفة ، فجمعت النظريات الفلسفية ، بجانب الاساطير

الشعبية ، بما فيها خرافات ، وتصورات بدائية ، واعمال يعجز العقل المتحضر عن فهمها ، فضلا عن الوصول الى سرها ، أو الهدف من ممارستها ٠

٣ ـ ليس الدين الهندوسى كلمة تجمع حولها المؤمنين بها ، وليس فكرا لمؤسس واحد يكون قاعدة مشتركة لمن يشتغلون بتفسيره والدعوة له . بل هو بمثابة خيط مستمر التطور ، يربط الماضى والحاضر فى تيار غير منقطع ، ويضم حوله صورا من الماضى السحيق ، بجانب تصورات دينية حديثة ٠ ولذا لا نجد فيه عقيدة دينية محددة وثابتة . كما فى الاديان الاخرى ، ولا يؤمن أتباعه بنظرية محددة عن خلق العالم ، أو عن خلق القوى المادية وغير المادية ، ولا عن خلق الروح ، او علاقة الجسم بها ، كذلك لا تفسر الاوامر والنواهى الدينية تفسيرا محددا ، بحيث تكون ملزمة للكل على طريقة واحدة ، ولهذا يوجد هنودوسيون يأكلون اللحم ، وآخرون يحرمونه على انفسهم ، ويعيشون نباتيين طول حياتهم ، كما يوجد منهم من يعزف الموسيقى ، ويستمتع بسماعها ، ومنهم من يعيش حياة قاسية حيث يحرم على نفسه كل انواع الطيبات ، التى يتمتع بها اخوه فى العقيدة ، وغير ذلك كثير ، ومختلف فيه اختلافا لا حد له ٠

٤ ـ يعتقد الهندوسيون ان دينهم هو الحقيقة ، التى يجب ان تبلغ للناس فى كل عصر بصورة مطابقة لمقتضيات ذلك العصر ٠ وطبقا لهذا يعتقدون أنه يظهر فى كل زمان حكماء ، وأناس تحل فيهم الروح الالهية ـ روح براهما ـ ليجددوا الرسالة ، ويقوموا بنشرها ، مثل :

«Vyasa فياســـــا » (١) و « Manu مانـــو » (٢) و « Rama رامـــا » و « Shankara شـــانكارا » و « Ramakrishna راما كريشنا » . ولم يأت هؤلاء ـ كما يقول الهندوسيون ـ بتعاليم جديدة ، بل كانت مهمتهم تجديد التعاليم الموجودة ، لتلائم العصر .

ومما لا شك فيه ان المعالم الفكرية للعصور المختلفة ، وجدت طريقها الى الدين الهندى عن طريق هؤلاء الحكماء ، فامفكر ابن عصره ، مهما بولغ فى عزله عن المنابع الفكرية غير الدينية ، كما يتأثر ـ نسبيا ـ بتعاليم الأديان الأخرى ان سمحت الظروف بوصولها اليه ، سواء كان عن طريق الدراسة لاشباع رغبة عنده ، أو المجادلة مع بنى وطنه .

وقد ظهر واضحا عند حكماء الهند ودعاة الاصلاح ، الذين ظهروا فيها بعد الفتح الاسلامى ، فتأثرهم بالاسلام بدا جليا فى المبادىء التى اعتنقوها ودعوا اليها وفى المجالات الكلامية التى تناولت حقيقة

---

(١) « Vyasa فياســـا » أحد الشخصيات المقدســـة فى الاساطير الهندية ، ويقال انه هو الذى رتب نصوص « الفيدا » .

(٢) « Manu مانو » (ومعناه فى اللغـــة السنكريتية . انسان) تقول الاساطير الهندية انه « أبو البشر » ويعتبرونه منبع الفضيلة والخير .

الذات الالهيـــة ، فبينما يرى « Ramanuja رامانوجا » (١) ـ وهو من أتباع المذهب « الشيفى » ـ أن الأرواح والمادة جوهر الالوهية ، يخالفه « Madhva مادفا » (٢) فيذهب الى أن الارواح والمادة جواهر متحدة ، وتختلف اختلافا كليا عن الله ، غير انها خاضعة لسلطانه ٠

أثر الاسلام أيضا فى الحركات الاصلاحيه ـ ذات الطـــابع الدينى ـ التى ظهرت فى الهند مثل :

١ ـ حـركة « Brahma — Samag براهما ـ ساماج »

---

(١) « Ramanuja رامانوجا » : عاش فى القرن الثانى عشر الميلادى ويعتبر المرجع فى « الاوبانيشادات » والفلسفة الهندية بعد « شانكارا » ، غير انه خالف نظرية الوحدة التى كان يدعو اليها « شانكارا » فأصبح أكبر مدافع عن عبادة «فيشنو» فى جنوب الهند ٠ ركز « رامانوجا » على العمل الصالح والتقوى كطريق الى الخير ، ودعا الى محبـــة الله ، وخاصة « راما » كـ « تجسيد » للاله « فيشنو » ٠

(٢) « Madhva مادفـــا » : أحـــد رجـــال الدين الهندوسى فى القرن الثالث عشر الميلادى ، وهو من « الفيشنويين » (نسبة الى فيشنو) ٠ ذهب الى ثنائية الله والروح الفرد ـ مخالفا بذلك الوحدة الفلسفية ، القائمة على مبادىء « الاوبانيشادات » ـ وأن محبة الله تستطيع قهر هذه الثنائية والوصول الى الخلاص٠ ويرى أتباع هذا الاتجاه ـ ويطلق عليهم «المادفيون » ـ أن العناصر الخالدة تكمن فى « فيشنو » وهى مختلفـــة عن جواهر الارواح والاشياء المادية ٠

ى جمـــــاعه المـــؤمنين بالله أسسها « Ram Mohan Roy « رام موهان روى » (١) فى عام ١٨٢٩ م ومن مبادئها : تحريم الصور والتماثيل فى المعابد ، ومحاربة تقديســـــها والدعوة الى التوحيد • وقد لعبت هذه الحركة دورا كبيرا فى قرار الحكومة تحريم حرق الزوجة التى مات عنها زوجها ، وبذلك أبطلت عادة من عادات الدين الهندوسى •

٢ ــ « الربانيون فى الهند الحديثة ، اسسها « Keshab Candra كيشـــــاب كاندرا »فى اقليم البنغال فى عام ١٨٨١م وهم يمثلون فرعا انفصل عن جماعة المؤمنين بالله ، واتجه الى محاولة جمع الاديان كلها فى قالب واحد فهم ــ كما وصفهم «Nulle» يعزفون • سيمفونيه جميع الاديان » •

٣ ــ « جماعة الآريين (Aryasamaj) اسسها « Dayanand دايانائد » (١٨٢٤ ــ ١٨٨٣ م) فى عام ١٨٧٥ م وهى طائفة

---

(١) « Ram Mohan Roy رام موهـــــان روى ، (١٧٧٢ ــ ١٨٣٣ م) ساعدته دراسته فى العلوم المختلفة ــ تعلم العربية ، والفارسية ، والتكريتية ، وقرأ القرآن ، واطلع على كثير من الأفكار الحديثة ــ على ادراك أن الدين الهندوسى لا يمكنـــه مقاومة التيارات الحديثة ، فحاول أن يدخل عليه بعض الاصلاحات، كى يتمكن من الصمود امام الغزو الفكرى ، ويرى بعض علماء الاديان الاوروبيين أن التيار الفكرى الاوروبى ، كان السبب فى دفعه الى تكوين جمعية « براهما ساماج » وهو رأى يحتاج الى دليل ، اما الشىء الذى لا مراء فيه ، فهو أن معالم الاسلام بدت واضحة فى مبادىء جمعيته •

تدعو الى التوحيد ، ونبذ الصور ، وتعد من الطوائف التى حاولت تطهير الدين الهندى ، ليلائم العصر الحديث ، غير انها ترى أن « الفيدا » هى منبع كل الحقائق ، ولذا ينبغى ألا تخرج الصور الجديدة للدين عن المبادىء الموجودة فيها • وهى تميل الى مزج الهندوسية مع المسيحية ، ولذا فهى تقف موقف المعارضة معجمعية « براهما ساماج » •

انعكست هذه الظاهرة على الجانب الآخر ، فقد خرج من بين المسلمين أسماء فى شهادة الميلاد ـ وفى الهند من نادى بدعاوى تقوم مبادئها على مزج الاسلام بالهندوسية ، او ادخال عادات وتقاليد هندوسية فى المجتمع الاسلامى ، ومن اشهرهم :

١ ـ « كبير » (١٤٤٠ ـ ١٥١٨ م) : ولد لأبوين مسلمين واشتهر بقرض الشعر • اعتنق فكره المزج بين الاسلام والهندوسية ، ودعا اليها ، فكان يرى ان كلا العقيدتين تعظم الها واحدا متعاليا ، والفرق بينهما ، هو فى الصورة الظاهرية للعبادة فقط ، ولذا تساوت عنده الاماكن المقدسة فى الدين الهندوسى بالمشاعر الحرام فى مكة ، ولم يختلف القرآن ـ عنده ـ عن الكتب المقدسة الهندوسية •

أخذ عن الهندوسية :

عقيده تناسخ الأرواح ، وقانون الجزاء الأخلاقى «Karma Gesetz» والايمان بأن محبة الله «Bhahti» هى الطريق الوحيد للخلاص •

وأخذ عن الاسلام :

تحريم عبادة الاصنام •

٢ ـ « جورونانك Guru Nanak (١) (١٤٦٩ ـ ١٥٣٨ م) : أسس دين « السيك » (٢) فى اقليم البنجاب بالهند فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى وكان هدفه جمع المسلمين والهندوسيين على اساس الاعتقاد بوحدانية الله ، والمساواة بين الناس . ويقال : أنه قرأ القرآن الكريم ، وحج ببيت الله الحرام وسلك طريق الصوفية .

---

(١) « جورو » (ومعناها فى اللغه السنسكريتية : استاذ او معلم ، أو صاحب فضيلة او صاحب عبطه) : وهو لقب اطلق على اتمتهم ، ويقابله فى الأديان الأخرى : بابا ، أو ملا ، أو امام ، ويلقب به خلفاء «نانك» العشرة ، وكان آخرهم «Govind Singh» (١٦٧٥ ـ ١٧١٩ م) الذى لم يسم خليفة له ، بل دعاهم الى اتخاذ الكتاب المقدس «Adi Granth» اماما لهم .

(٢) تأسس دين « السيك » ـ او السـيخ ، ومعناها المريدون ـ فى القرن السادس عشر الميلادى ، وانتشر فى البنجاب ، وتبوأ اتباعه مكانا سياسيا هاما بسبب حربهم ضد المغول فى عهد «Govind Singh» الذى اطلق على كل فرد منهم فى تنظيمهم العسكرى كلمة «Singh» (أى أسد) وبعد موته فقدت الطائفة مركزها السياسى ، ولكن الجماعة ازدهرت فى عهدالملك «Randschit Singh» من ١٧٨٠ ـ ١٨٢٩ م الذى وحدهم ، لكنهم هزموا بعد موته بفترة قصيرة امام الغزو البريطانى ، وفى عام ١٩٤٧ رحلوا عن منطقة البنجاب الواقعة فى باكستان . وهم يعيشون الآن فى البنجاب الشرقية وفى المناطق الشمالية الأخرى فى الهند ، متفرقين بين الهندوسيين .

و « السيك » قوم موحدون ، لكنهم يطلقون على الههم أحد أوصاف الاله « فشنو » الا وهو «Hari» ، كما يعظمون ائمتهم ويعتبرونهم واسطة بينهم وبين الله ، كما اتخذوا «Adi Granth» (١) كتابا مقدسا لهم ، وفرض عليهم ائمتهم طقوسا مقتبسة من أديان مختلفة مثل :التعميد بماء السكر، وارتداء زى خاص بهم ، واتباع نوع معين فى حلاقة الشعر ، واطلاق اللحية ، كما حرموا عليهم الختان والحج ٠

٣ ـ جلال الدين أكبر : من أشهر ملوك الدولة المغولية ، تولى عرش هذه المملكة الاسلامية وهو شاب فى مقتبل العمر فى منتصف القرن السادس عشر الميلادى (١٥٥٦ م) ، وظل حاكما قويا لها حتى عام ١٦٠٥م ، كان أميا لا يقرأ و٧ يكتب ، ولكنه رزق عقلا كبيرا ، عداه الى البحث والدراسة عن طريق السماع ، فجمع حوله صفوة من رجال الاديان المختلفة الموجودة فى مملكته ، ورتب لهم عقد جلسة للمناقشة والبحث فى القضايا الدينية فى يوم الثلاثاء من

---

(١) فى اللغة السنسكريتية «Adi» أصل و «Granth» كتاب فمعنى الاسم اذن : الكتاب الأصلى (أو أم الكتاب) ، وموضوعه الرئيسى الاله الواحد ، أو الجوهر الأعلى ، ويتألف من ٣٣٨٤ نشيدا ، تحتوى على ٥٥٧٥ بيتا شعريا ٠

كتب فى البنجاب بلهجة « ناناك » وجمع فى عام ١٦٠٤ ، وأصوله التى يطلق عليها «Darber Sahib» محفوظة فى المعبد الذهبى فى «Amritser» « أمر تسر » ويجب على كل « سيكى » حفظ الجزء الاول منه ، وتلاوته كل صباح ومن لم يفعل ذلك فليس « سيكيا » ٠

كل اسبوع ، فكانت هذه الجلسات مسرحا لطرح عقائد متباينة ، وتصورات دينية مختلفة وآراء متنافرة ، وأفكار متضاربة فى اسلوب جدلى عنيف ، سيطرت عليه رغبة كل فريق الانتصار لدينه ودحر الاديان الاخرى ، ضاربين الصفح عن جميع الاعتبارات الاخرى، التى ينبغى الالتزام بها عند مناقشة اصحاب الاديان المخالفة ، وغافلين عن القواعد السليمة التى يجب الحرص عليها فى مثل هذه الاحوال للوصول الى التعاليم الدينية التى لا تتنافى مع طبيعة الانسان ، والتى تحقق للفرد الامان والاطمئنان فى الدنيا والسعادة فى الآخرة ٠

فرست هذه المناقشات الشك فى قلب جـــلال الدين اكبر ، فتزعزعت عقيدته واضطرب تفكيره ، فاستولت عليه الحيرة ، فسدت أمامه سبيل الوصول الى الحقيقة المطلقة ، لأن الحقائق الدينية اهتزت امامه من جراء هذه المناجلات بين صفوه رجـــال الاديان المختلفة ، فانتهز هذه الفرصـــــة بعض رجـــــال الدين المغامرين (١) فأوهموه انه العبقرى الأوحد ودفعوه الى دعوى الاجتهاد

---

(١) وأقصد بهم أولئك الذين يسعون للتقرب من الحاكم ، لينالوا جاها او مالا او كليهما ، وما اكثرهم فى كل عصر ، ولم ـ ولن ـ يخل جيل من امثال هؤلاء الذين يزينون للحاكم صوابرأيه، بل يبحثون له عن سند لها من الدين ، وان أولوا النصوص تاويلا متعسفا فيه ، وأحيانا يجهدون أنفسهم فى البحث عن مبرر دينى ـ فى رأيهم ـ لتعطيل حكم ابتغاء مرضاة الحاكم ، والا لحقتهم اللعنة فيطردون من مناصبهم ، ليحل محلهم من عنده استعداد اكبر لتحقيق هذه الغاية ٠

المطلق وزينوا له انه صاحب دوره دينية جديدة ، فادعى ان عصر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قد انتهى بنهاية الالف عام ، وبدأ عهد امامته ، امامة السلطان أكبر ، فهو الآن صاحب الكلمة فى العقيدة الدينية ، ثم اعلن فكرة التقريب بين الاديان ليتفادى الخلاف الذى ظهر فى جلسات الثلاثاء بين رجال الاديان ، وتجتمع الهند بأسرها تحت دين واحد ، فمزج بين مبادىء هندوسية ، واسلامية ٠٠ وزرادشتية فى دين واحد أطلق عليه « دين الله » واعتقد انه ظل الله ، ونائب عنه فى الارض ٠

اتبع فى عبادته وعاداته خليطا من الاديان الثلاثة ، وعلى سبيل المثال : آمن بوحدانية الله ، وعبده على طريق براهمة الهند ، وكان يولى وجهه شطر الشمس حين طلوعها متمتما لها بكلمات التقديس ، تعظيما لها ، كما حرم ذبح البقرة فى انحاء الهند كلها . واباح شرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير ٠

استمر فى هذا الطريق ـ تلفيقا وجمعا ومزجا بين مبادىء الاديان المختلفة ـ حتى بعدت الشقة بينه وبين الدين الاسلامى ،

= واذا أمعن المرء النظر فوجوه الذين يتولون المناصب الدينية الكبرى فى أى دولة ، فسوف يجد ان معظم الذين يتمتعون ببريقها مدة اطول مشايعون للحاكم او مسالمون له أما أصحاب المبادىء الذين يسعون جاهدين لتطبيقها فى مجال سلطتهم فلا يتولون من المناصب ما يساعدهم على تحقيق غايتهم ، وان لعبت الظروف دورا فى توليتهم يوما ما ، فسرعان ما يقع الصدام بينهم وبين ذوى الاهواء والمطامع فيخرجون ، ويحاصرون ، حتى لا تنتقل عدواهم الى غيرهم ، فتتسع دائرة المخلصين لتحاصر شلل المنتفعين ٠

فنشأ عنده شعور بالعداء له ـ تحت تأثير من يكنون العداء للدين الاسلامى من رجال بلاطه فكان يسوءه ان يسمى احد فى بلاطه ابنه محمدا · وبذلك اصبح الاسلام غريبا فى تلك البلاد ، التى استمر فيها الحكم الاسلامى زهاء خمسة قرون وكاد يقضى عليه لولا هلاك جلال الدين أكبر ، وجهود كثير من العماء المخلصين من امثال الشيخ احمد بن عبد الأحد السهرندى (١) ·

كان لهذه الظاهرة الهندية ـ ظاهرة التلفيق والمزج بين الاديان المختلفة ، لنسج دين ، او مذهب جديد ـ أثر كبير على ميرزا غلام احمد ، فنادى بدعوة ـ هى القاديانية ـ مزج فيها بين مبادىء مسيحية ، واخرى اسلامية . على النحو الذى سنبينه فيما بعد ·

---

(١) هو أحمد بن عبد الاحد بن زين العابدين الفاروقى السهرندى (٩٧١ /١٠٣٤هـ ـ١٥٦٣/١٦٢٥م) من علماء الهند ، الداعين الى نبذ البدع · ويلقب بمجدد الالف الثانى · نسبة الى « سهرند » ومعناها : « غابة الاسد » بين دهلى ولاهور ، ومولده ووفاته بها · تفقه وحج ، واشتغل بالتدريس ، وحبسه السلطان « جهانكير » ، قيل : لامتناعه عن اسجود تعظيما له · وأطلق سراحه بعد تلاث سنوات ، فعاد لى « سهرند » · من مؤلفاته رسائل فى « المبدأ والمعاد » · و « اثبات النبوة » و « المعارف اللدنية » و « رد الشيعة » ·

(أنظر : أبجد العلوم ٨٩٨ وهداية العارفين : ١ : ١٥٦ ـ عن الاعلام للزركلى) ·